الحرب الاهلية التي نشبت في عام ١٨٤٧ بين المقاطعات الكاثوليكية المحافظة والمقاطعات البروتستانتية المتحررة ، وتمت الغلبة فيها للبروتستانتيين الذين خاضوا غمار تلك الحرب القصيرة بقيادة جنرال كاثوليكي ، هو دوفور Dufour وعقد مؤتمر وطني بعد الحرب تمخض عن دستور عام ١٨٤٨ ، الذي تم ابداله ، في عام ١٨٧٤ ، بالدستور الراهن للاتحاد ٠

وفي غمرة الاحداث اللبنانية ، وبعد اخفاق فكرة التقسيم ، اقدم اقطاب اليمين على طرح فكرة الكانتونات كمخرج للازمة وبديل للصيغة التي ارسى قواعدها الميثاق الوطني ٠ ويبدو ان الفكرة من وحي اميركي ومباركة اوروبية ٠ وكان الدكتور شارل ملك اول من لوح بها وبشر ، ففي تموز (يوليو) الماضي ادلى بتصريح قال فيه : « ان الولايات المتحدة تنظر الى الحرب اللبنانية من زاوية انها تتركب من ثلاثة اشياء : حرب داخلية اهلية ، وحرب فلسطينية ـ لبنانية ، وحرب راديكالية ـ شيوعية او انقلابية عالمية » ٠ واضاف انه لا يملك معلومات عن خطة اميركية للتقسيم ولكنه يتصور اليوم « بعد الذي حصل في لبنان ، صار عند الاميركان استعداد للنظر في المساهمة في ايجاد نوع من التنظيم الداخلي الذي يؤول الى الاستقرار ، وهذا قد يشمل شيئا من الفدرالية او نظام الكانتونات ، ولكن من ضمن اطار وحدة لبنانية » ٠ واكد في نهاية حديثه « ان لبنان هو واقعيا مقسم » (١) ٠

وبعد اسابيع عاد الرئيس السابق شارل حلو من اوروبة ، بعد غياب استمر ستة اشهر ، وادلى بتصريح لاذاعة هولندا استهله بالدعوة الى اعتماد نظام الكانتونات والعمل باللامركزية في المجالات الاقتصادية والادارية والمالية ، معتبرا ان هذه الخطوة مرحلية ولا بد منها لاعادة توحيد لبنان شعبا وارضا ٠ واكد ، في حديثه ، على ان لبنان هو سويسرا الشرق ، وتساءل : « ولماذا لا يكون لبنان سويسرا الشرق على الصعيد السياسي ؟ » (٢) ٠

وعلى اثر هذا التصريح كثر الحديث عن مشروع الكانتونات ٠ وذكرت بعض الصحف ان صيغة جديدة ومفصلة لمشروع سمي بمشروع « الادارة الجديدة للبنان » قد عرضت ، في اطار من السرية التامة ، على الرئيس فرنجية، وان هذه التسمية التي تم اختيارها ليست غير مشروع نظام الكانتونات ، الذي يقسم لبنان الى مجموعة مقاطعات تتمتع كل منها بالاستقلال الذاتي والحكم المحلي ، وان المشروع استوحى دستور الدولة السويسرية ، وان بعض كبار القانونيين في اوروبة درسوه من مختلف نواحيه قبل صبه في صياغته الاولية الحالية (٣) ٠